الشهيد البطل
جلال الدين دسوقي

obeikandl.com

obeikandl.com

هذه الذكرى :

إن الذكريات كالأحلام وهى أروع ما نملك ونحن عندما نعتزل واقعنا اليومى لبعض الوقت ونتأمل الذكريات ، فإننا نفتح لأرواحنا نافذة نستروح منها عطراً عزيزاً علينا فندرك ما حققناه وما فاتنا ، ما صنعنا بحياتنا ، وما كان يجب أن نصنعه ونتخذ من دراسة الذكريات قوة كافية لمواجهة الواقع الذى نبنيه بأيدينا ودفعة خلاقة لمعركة المستقبل الذى نصوغه بكل ما نملك بالإصرار والتجربة والمعاناة؛ وبالذكريات نفسها وبأحلامنا وطاقتنا وثقتنا المطمئنة فى الانتصار. وفى ذكريات عام ١٩٥٦ ما يملأ النفس بالكبرياء ومن لهيبها القاسى انبثق شعاع فجرنا الجديد ولقد توثقت الوشائج بين ذكرى استشهاد بطلنا العملاق (جلال الدين دسوقى) وبين هذه الانتفاضة التى زحفت من خلالها أحلام شعبنا العظيم الصامد فى معركة الحرية فى (بور سعيد) هذه الانتفاضة الرائعة روعة البطولات الأسطورية .

وإننا نستقبل هذه الذكرى ونحن فى غمرة الأحداث التى تمر بنا هذه الأيام وتهز مشاعرنا هزاً عنيفاً ؛ حيث نواجه فيها عدوان الأعداء المتربصين ونذكر عدوان أعدائنا الذين تربصوا لنا بالأمس عام ١٩٥٦ فيلح تيار الذكريات لنربط بين ما يحدث اليوم وما يحدث بالأمس ـ كان الموقف فى بداية عام ١٩٥٢ — أن الاستعمار يسيطر على كافة أرجاء المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط تقريباً وفى مصر فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ قامت ثورة شعب قادها أحرار أبنائها فى الجيش فانتفضت الأرض لنورها، وهو يهدر على زروعها وأكواخها بنفير البعث والحياة ثورة لها أهداف سياسية ولها أهداف اجتماعية ، ثورة سياسية فى ميدان التحرر والاستقلال والقضاء على الاستعمار وأعوانه وإقامة حياة ديمقراطية سليمة ، وثورة اجتماعية فى ميدان العدل الاجتماعى الذى يقضى فيه على الإقطاع

والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم، وإقامة مجتمع ترفرف عليه الرفاهية. ثورة تستهدف أيضاً إعداد العدة للدفاع عن الحرية بإقامة جيش وطنى يمكنه أن يتحمل تبعات التحرر فى مصر وفى غير مصر من الأجزاء السليبة من أرض العرب . ولقد أخذت الثورة تشق طريقها لتحقق أهدافها هدفاً بعد هدف فلم يعد الاستقلال هتافات بالمطالبة به؛ ولكنها معركة للقضاء على الاستعمار وأعوانه ولم يعد يكفى أن يقضى على لصوص الخارج ، ولكن لا بد أن يقضى أيضاً على لصوص الداخل؛ فكان القضاء على الإقطاع بقانون الإصلاح الزراعى ، وتوزيع الأرض على أبناء الشعب والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم وأسلوب جديد فى العمل بقوانين الضريبة التصاعدية وقوانين العمل التى تحمى مصالح العمال الاشتراكية؛ ثم كانت زيادة الإنتاج وزيادة الخدمات بوضع الخطط للبناء والإنشاء والتصميم على إرساء قواعد المستقبل على أسس علمية واقتصادية واجتماعية سليمة .

وفى عام ١٩٥٤ حاولت قوى الاستعمار والرجعية والانتهازية جميعاً أن تقف هذا التيار الجارف، وأن تسكت هذا النغم الصاعد الذى تطرب له نفوس عشاق الحرية والعدل الاجتماعى ؛ ولكن محاولتهم ذهبت مع الريح وعرف الشعب طريقه ، وزحف على هذا الطريق زحفه المقدس فكانت اتفاقية الجلاء فى الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩٥٤ بإرادة الشعب وبجهاده وبدمه وبوحدة صفه وإخلاص وتصميم قيادته .

ثم كانت انطلاقة باندونج فى عام ١٩٥٥ بقراراتها ومبادئها ومسالكها الجديدة فى عالم متحزب متناحر تهدف إلى التعايش السلمى وعدم الانحياز وحق تقرير المصير ؛ فخرجت قضايا العرب من محيطها المباشر مع قوى الاستعمار إلى محيط عالمى أخذ يتفهم وجهة نظر العرب ويقارب بين وجهات النظر عند الشعوب التى تسعى بكل طاقاتها إلى التحرر؛ ثم كان استخدام إسرائيل ركيزة

للاستعمار ورأس جسره فى الأرض العربية يضرب بها كل جبهة وفى كل ميدان ويمنع عنا السلاح لنشعر بذل الحاجة إليه ؛ فكنا له بالمرصاد فكسرت مصر المتحررة احتكار الغرب للسلاح وتسلحت لتقوى على صد العدوان ، ولتقوى على الحفاظ على الحرية والمعاونة فى التحرر .

وكان الشعار الذى انبثق عن هذا العمل (السلاح فى الأيدى العربية سلاح عربى) .

وفى عام ١٩٥٥ كانت المناورات الكبرى التى أخذت قوى الاستعمار تعجم بها عود هذه القوة العربية الثائرة المتحررة ؛ فقام الاستعمار بالاتفاق مع الأعوان والعملاء بتكوين حلف بغداد وشدت إليه دول من المنطقة ، وبذلت المحاولات لشد دول أخرى وارتفعت نظريات وفلسفات لسد الفراغ كمشروع (إيزنهاور) .

ولكننا قابلنا هذا كله بالهتاف العربى الأصيل (نحن العرب أولى الناس لسد الفراغ المزعوم) فنحن العرب الأحرار أولى بأن نجابه الأخطار من أن ننخدع بحجج الاستعانة بأعدائنا التقليديين والوقوع فى براثنهم ؛ لنحمى أنفسنا من خطر متوهم وكان أن حارب الشعب العربى حلف بغداد .

ولم ينته عام ١٩٥٥ حتى كانت مصر قد وقعت اتفاقاً للدفاع المشترك مع سوريا عين على أثره (المشير عبد الحكيم عامر) قائداً عاماً للقوات المشتركة .

ومن ثم بدأ ظهور مصر وسوريا معاً فى الميدان ـ ويسير تيار الذكريات متدفقاً إلى اليوم السادس عشر من يناير ١٩٥٦ حيث يخرج إلى النور دستور الشعب معبراً عن آماله وأهدافه وفى السادس من مارس ١٩٥٧ يتم الاجتماع بين قادة القاهرة ودمشق .

وفى اليوم الثالث عشر يصدر البيان الذى يمثل وجهة النظر المصرية السورية

بنبذ الأحلاف العسكرية والاستمساك بحقوق الشعب العربى فى فلسطين ثم يزور (الملك حسين) مصر ليشترك فى المباحثات العربية، وتصل فى الشهر التالى البعثة العسكرية الأردنية لتوقيع ميثاق الدفاع المشترك .

وهنا تتجمع القوى المتحررة فى المنطقة لتواجه مؤامرات الاستعمار التى تهدف إلى الاستمرار فى السيطرة وحماية الأعوان والعملاء .

وفى يونيو عام ١٩٥٦ تطهر أرض الوطن من آخر جندى من جنود الاحتلال .

وفى اليوم الثامن عشر يرتفع العلم المصرى وحده لأول مرة منذ عام ١٨٨٢ يرفرف على أرض الوطن الحر ويظلل أبناء الشعب الحر .

وفى نفس هذا الشهر الحافل بالذكريات يقر الشعب دستوره النابع من ضميره ؛ ويقول كلمته العليا فى مبايعة الرئيس المفدى (جمال عبد الناصر) رئيساً للجمهورية فى استفتاء حر منبعث من وجدان متحرر . ثم يمضى الشعب بكل طاقاته فى طريق البناء ليعوض تخلفه بفعل المستعمر البغيض .

وكان أول ما اتخذه ركيزة للتنمية وتحقيق العدالة والحرية والحياة الكريمة هو بناء السد العالى .

وحاولت الحكومة أن تستعين بالخارج فى إنقاذ هذا المشروع الحيوى ولكن الاستعمار أراد الثمن الغالى لهذه المعونة؛ أراد أن يدخلنا فى الأحلاف وأن نتخلى عن مساندة كفاح الجزائر الباسل .

وحين أبينا ـ بلسان قائد قافلة الحرية فى طريق الزحف المقدس ـ أن ندور فى هذا الفلك؛ كانت حرب التجويع وحرب الحصار الاقتصادى وحرب الإفقار الموصول حتى تبقى الحاجة الدائمة . وكان الرد الذى اتخذته مصر الحرة هو تأميم قناة السويس فى السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٦ لتسترد حقها السليب فى قناتها ، وتستعيد حريتها فى سبيل التنمية والكفاية والعدل .

وكان التأميم فصلاً جديداً فى تاريخنا وتاريخ الأمة العربية ؛ إذ كان أول عمل إيجابى ليس بعده إلا التقدم لوصل الوطن العربى من طنجة إلى الإسكندرية.

وهنا نتراءى الذكريات فى صورة تجربة ليست ببعيدة . إنها فى عام ١٩٠٤ حين تم الاتفاق بين فرنسا وانجلترا لتطلق كل منهما يد الأخرى فى ناحية من نواحى الوطن العربى .

وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى ؛ إلا وجميع أجزاء الوطن العربى قد صارت أشلاء ترزح تحت نير دول الاستعمار وبخاصة دولتا الاتفاق الودى الذى أشرنا إليه .

وهنا يظل الاتفاق الودى الثانى ؛ ولكن على نطاق أوسع إذ ظهر ركن جديد من أركان الاستعمار وتحالفت إنجلترا وفرنسا وإسرائيل للقضاء على القومية العربية التى تستهدف القضاء على نفوذ الاستعمار وأعوانه .

ثم تتهيأ الفرصة لدول الاتفاق الجديد أن تمزق المنطقة وتقسمها وتبتلعها كما اقتسمتها وابتلعتها عام ١٩٠٤ وعام ١٩١٨ دول الاتفاق القديم . وكان السر الحقيقى للعدوان الثلاثى على مصر فى التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٥٦.

وهذا هو الهدف وما زال هو الهدف اليوم وغداً .

وكان العدوان الاستعمارى الانفصالى الرجعى امتدادا للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ .

وقد فشل العدوان الأول لأن العدو أثار حرباً مباشرة استغل فيها جنوده وأسلحته فتكتلت فى مواجهتها كل قوى الشعب العربى .

ثم أراد نفس العدو أن يشن عدواناً من نوع آخر يأخذ صورة التسرب والهجوم من الداخل .

لقد وثبت هذه الذكريات سراعاً إلى الذهن، ونحن نريد الحديث عن ذكرى البطل الذى عاش معركة العدوان . وكان معلماً من معالم أمتنا يضاف إلى القيم العليا التى تقوم بها مصر قبل أن تقوم بكنوزها؛ لما خلعه على الأمة من صفات أعلت مستواها فوق ما تغليه القيم المادية . وقد سجل قصته فى كتاب الخلود فى تاريخ أمته العريقة الأبية . إنها صفحة كتبت بالدماء وهى من أجل ذلك صفحة حبيبة إلى نفوس الأحرار فى كل بلد وفى كل أرض تعشق الحرية .

إن هذه الصفحة ومثيلاتها من تلك الصفحات الناصعة التى سجلتها معركة الحرية فى (سيناء وبور سعيد) بدماء شهدائها هى أثمن ما فى الحياة ، لا بل إنها أثمن من الحياة نفسها لأن الحياة استرخصت من أجلها. ولا يكفى هذا الكتاب لتسجيل روائع البطولة التى تجلت فى معركة (بور سعيد والقنال) ، والإحاطة بالتفاصيل المجيدة لهذه المعركة التى كانت فى الحقيقة نقطة تحول وانطلاق لقوميتنا العربية التى تردد صداها وتجاوبت دعوتها بين أرجاء العالم العربى وفى رحاب الدنيا.

(وبور سعيد) ستظل رمزاً لمعنى الفداء القومى، فقد افتدت بجهادها وكفاحها وتضحياتها سلامة مصر وتأمين استقلالها ، وتدعيم عزتها وكرامتها .

وقد أعلنت هذه المعركة للعالم أن الأمم إذا صدق عزمها نطق القدر بلسانها ومشت قدما إلى غايتها تروع أمم الأرض بضراوتها وعرام قوتها ، وتسجل فى صفحات التاريخ مرة أخرى أن من يقاوم الحرية يقاوم وهج الشمس وتعالى النهار .

وقد برز فى هذه المعركة رجال دخلوا التاريخ من أرحب أبوابه، لن تعرف مصر والعروبة نفسها إلا إذا عرفت نفوسهم فبصرت بمعالمها ووقفت على قرارة عظمتها؛ ومن حق الأجيال المقبلة أن تسمع مع من سمع وتبصر مع من أبصر ليتواتر الخبر وتؤول الشعلة المقدسة من يد إلى يد . فلا تنطفىء أبدا وإنه لمن الوفاء أن

يذكر الشعب شهداءه كما قدر له أن يجنى بعض ثمرات جهاده، لأن هؤلاء الشهداء كانوا أصحاب الغرس الأول :

ما مات من بطل إلا انبرى بطل للعيش محتقر فى الموت مرتغب
ماتوا فعشنا، وأحيوا بعدهم وطنا فكل ما نحن فيه بعض ما وهبوا
ولم تمت روحهم بل دب ثائرهم فيمن أتى بعدهم كالنار تلتهب

وكما سقط فى خضم هذه المعركة العديد من الشهداء؛ أظهر الثوار خلالها من روائع البطولات ما جعل منها ملحمة وطنية كانت مجالا لظهور عدد من الأبطال الشعبيين الذين لم يكن لهم من قبل اسم يذكر ؛ ولكنها الشدائد منبت الرجال ومصنع الأبطال وقد كان هذا هتاف الثوار :

يا دروب النضال ما اختضب الـ ـترب بأزكى مما رشفت دماء
كل خطو لنا عليك شهيد نضر الأرض جرحه والسماء
لوح الليل أنه سوف يبقى ففرشنا درب الضحا شهداء

وإن معركة (بور سعيد) وغيرها من معارك القومية العربية فى الوطن الكبير يعيد إلى أسماعنا معارك (بدر وحنين والأحزاب وحطين واليرموك وعين جالوت والقادسية) تلك المعارك التى أعز الله بها الإسلام ، وأحرز العرب بها النصر وملكوا بها نواصى الفخر وأخضعوا الجبابرة والطغاة تحت سلطان القهر؛ وإن التاريخ لحافل بوصف هذه المعارك يشيد ببطولة الشهداء الذين لقوا مصارعهم وصفحاته عامرة بالحديث عن أعمالهم المجيدة ، وقد صنفت فى تاريخ حياة رجال هذه الوقائع المصنفات الضخمة التى نقرؤها فتمتلىء نفوسنا إيماناً ويقيناً بنصر الله للمؤمنين ، وتنبعث فى النفس أقباس من النور وثورة على الضلال وأركان الظلم .

وما أكثر ما كتب الأدباء وقال الشعراء اعتزازاً بهم وتخليداً لحياتهم

ومآثرهم ولاتزال تطيف بخاطرنا الصور الباهرة التى رسمها (شاتوبريان) فى كتابه عن (الشهداء) فنرى مظالم البشرية كيف انسكبت على أبرياء مغبونين، وأبطال مجاهدين تقرأ فى تاريخهم نشيد الشهيد الذى مثلوه ببطولاتهم وذكرناه فى الحديث عن (الشهيد عصمت) .

والآن وقد جرى بنا تيار الذكريات فكاد أن يبلغ غايته وأفعم نفوسنا بالأشجان والفخار ؛ لا نرى ندحة من تناول الشطر الثانى لمقدمتنا (ذكرى البطل) فنتحدث عن (البطولة) كإرهاصة للحديث عن أمثولة الفداء العربى فى معركة الحرية « الشهيد البطل جلال الدين دسوقى » .

البطولة :

ونعنى بها مفهوم العصر كما أسلفنا فى سيرة (أحمد عصمت) فهى بطولة أصيلة شريفة متسامية توفق بين الشجاعة والرأى وتجعل الاثنين يخدمان المثل العليا والقيم الإنسانية الخالدة .

سوف لا أقتل أطفالا كما هم قتلوا
سوف لا أعدم نسوانا كما هم حللوا
سوف لا يغدر فى أرضى السليم الأعزل
أنا جندى شريف وشجاع بطل
سألاقى الجيش لا العزل ؛ لا لا أفعل

وهو ثائر لأنه لا يطيق الضيم ولا يصبر على الذل والهوان، ويتحمس بقدر ما يمعن العدو فى القمع ولكنه يعلم أن الثورة وسيلة لاغاية، لأنه ليس بالفوضوى الذى يلتذ بالهدم والقتل من حيث هما ثورة إلى العالم الأفضل الذى ينشده . فبطولته نزاعة إلى الحياة الإنشائية تواقة إلى (المستحيل ترغمه على الإمكان) زاخرة بالمحبة والإخاء، ببطولة تصور الحياة الزاهية الجميلة توهب فى سبيل الحياة الحية .

لا تلمنى أخى فما لام جندى أخاه إلا وأعقب عـذرا
إن حظى من بهجة أن أحيا أبياً أو أن أمـوت أبرا
كل جيل ودوره . ولقد كان لجيـلى معامد الحرب دورا
هكذا أملت المقادير أن ثوروا فثرنا لنقهر البغى قهـرا
لا تلمنى وسائل العقل عنى كيف أبدو لو أننى كنت حرا

وهكذا انبثق أبطالنا من أعماق الشعب فوجدوا من الجماهير سناداً ودعامة فساروا إلى الأمام وسار الشعب معهم متطلعاً إلى مستقبل جديد وحيـاة حرة سعيدة؛ وبكل هذه المقاييس سنعرض قصة بطلنا الشهيد (جلال الدين دسوقى) الذى اقترن اسمه الغالى بهذه الحقبة من تاريخ نضال شعبنا حتى أصبح كل منا يشيد به :

يا صورة الوطن الـكريم ورمز معقـله المصـون
(أجـلال) نجيت الديار من الزحـوف الغاصبين
ونهضـت للخصم الألد تكيـد للمستعمرين
مصر تسير على لوائك فى كفاح الغاشمـين
تمشى بسيرتك المضيئـة فى دجنات الدجـون
فى ذمة الأحقاب ما خـلدت فى وجه القرون

وإن الشباب العربى فى مصر وفى كل قطر عربى محتاج إلى أن يقبس من نور هذه التفدية فى سبيل نيل الحرية، وتحطيم القيود التى ضربها الاستعمار حول الأحرار وإنه من حق كل عربى أن يلم بأحداث الجهاد، ويعرف الـكثير عن الشهداء الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتـلون ويقتلون وعدا عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن . كما أؤمن بأن من حق كل مجاهد استشهد فى معارك القتال فى أى بلد عربى وسقط فى ميدان النضال مدافعاً عن حريته المسلوبة وحقوقه المنهوبة؛ من حقه أن يسجل اسمه ويدون تاريخه وتمجد أعماله لتظل ماثلة أمام أعين الأجيال القادمة .

جلال الدين الدسوقى

مولده ونشأته :

من أسرة مصرية صميمة وفى بيت كريم بضاحية الزيتون ولد للسيد (دسوق الششتاوى) الذى كان مثالا رفيعاً للخلق القويم والوطنية الصادقة ابن سماه (جلال الدين) فى يوم الرابع عشر من أكتوبر سنة ١٩٢٨ .

وبهذا المولد كان جلال من أبناء مصر الحديثة التى رأت النور فى آفاق عام ١٩١٩ ورضعت لبان النهضة التى تعهدها (مصطفى كامل ومحمد فريد) فى فاتحة القرن؛ كانت تلك الفترة من التاريخ كلما تقدمت استفحلت البغضاء للمستعمرين الباغين على أمتنا الغاصبين لحريتنا ، وكان الناشئة يعيشون على تاريخ رسمى مكذوب وتاريخ صحيح غير مكتوب؛ أما الأول فقد دسه إلينا الاستعمار ليحطم مقوماتنا فجعل مصر هبة الولاة من عهد (محمد على) وسقط فى أيدى الأحزاب والحكومات فلم تستطع أن تقهر العصر أو تصحح التاريخ .

وأما التاريخ الثانى عن مجد مصر وقوتها فقد علمتنا ثورة ١٩١٩ أن يظهر عليه أبناء مصر بقلوبهم إذا لم تطلع عليه أعينهم ، ويتقدم الزمن وتخاصم الملكية الرجعية الدستور منذ صدر وتصطنع الأحزاب وتدنى الشيع والأتباع ، وتقصى الأحرار عن المراكز الأولى وتسيطر على القوى الحزبية وتضرب الحركة الشعبية .

فكان النشاط الحزبى دوراناً فى حلقة مفرغة والتقدم الشعبى سراباً وفسدت أداة الحكم نتيجة للفساد السياسى ، واستفحل الإقطاع وجاع الملايين لحساب فئات تدور فى هذا الفلك، وكان الزعماء قد أضحوا مشدودين إلى مركز الثقل فى الامبراطورية البريطانية مبهورى الأنفاس من قعقعة السلاح ومظاهرات

الغواصات فى قناة السويس ، ومن المؤتمرات التى تعقد تحت نذر الحرب الحبشية أو الحرب العالمية الثانية .

ومد لهم غصن الزيتون تحت عنوان إلغاء الامتيازات الأجنبية التى جعلت منذ تصريح الثامن والعشرين من فبراير عام ١٩٢٢ مفتاحاً تفتح به مغاليق الشر على مصر فوقعوا معاهدة ١٩٣٦ .

وفى عام ١٩٣٩ كنا فى حالة حرب لم نكن من جناتها علم الله ولكننا صلينا بنارها ، وضيق الانجليز علينا الخناق توسعة لأنفسهم إذ خاضوا المعركة على أرضنا وغزيت مصر من أجلهم مراراً ؛ فكانت كل غزاة لها كجراحات الرماح للضمير المصرى ، وكانت تحتل كل مكان من أرض الوطن بفيالق انجليزية وانطلقوا يجيعون مصر ويقطعون أقواتها فانتكست ميزانيتها وأظلمت القاهرة وسرت رعدة فى البلاد ، وكان نعيق الصفارات يملأ الآفاق ليل نهار نذيراً بالهلكة والدمار واستفحل الغلاء .

ومدوا للعملاء من غير المصريين أسباب الثراء ؛ وكان حادث الرابع من فبراير ١٩٤٢ حيث استبدل الضباط البريطانيون وزارة اضطرتهم إليها محنتهم بوزارة لم يعودوا بحاجة إليها ؛ وهاج ضمير الشعب وبدأ النضال بينه وبين القصر والحكومات المتعاقبة المتهافتة .

ويأتى دور حرب فلسطين وكانت السياسة الانجليزية فى مصر ؛ فاستطاع اليهود اغتصاب شطر من فلسطين رغم بسالة المصريين وما أثبتوه من فدائية فى المعارك والجود بالروح فى نبالة واعتزاز ؛ واستبدت شياطين الفساد بأداة الحكم بعد حرب فلسطين على يد القصر .

وابتدعت الأساليب لتعطيل الدستور ثم تعرض قضية مصر فى مجلس

الأمن لتكون مشكلة عالمية ، وتكون صيحات الشعب فى التماس الإصلاح كهزيم الرعد أو أشد .

وعاد النظام الحكومى لمداراة الملك الذى تمادى فبطر ولم يفطن للخطر؛ثم جرت المحادثات بين الجانبين المصرى والانجليزى والأمة يائسة من هذه المفاوضات، وألغيت المعاهدة وسبق الشعب حكومته وبرلمانه إلى القتال حيث الدم المراق من سبعين عاماً،ثم تتلاحق حلقات التاريخ ويشتد الكفاح وتنشط (كتائب الفدائيين) ولا يتورع الانجليز عن ارتكاب أقسى الأساليب العدوانية فى مقاومة حركة الكفاح .

ثم تكون الحوادث الدموية فى (الاسماعيلية والسويس والتل الكبير) ضد جماعة الفدائيين من شباب الجامعات المصرية ، وضد مصر التى تطالب بحريتها ثم تظاهر (بلوكات النظام) لتزحف إلى القتال وتشاطر فى الدفاع والاستشهاد ، ثم حريق القاهرة وإعلان الأحكام العرفية وإعفاء الوزارة .

وتولى الحكم وزارة لم تحم ظهور (الفدائيين) وتتلاحق الوزارات مثنى وثلاث ورباع وخماس ست وزارات فى ستة شهور .

وفى ظلمات اليأس دقت نواقيس الزمن وطلع الفجر الجديد، وقامت ثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ ـ فى هذه الفترة من حياتنا ولد البطل (جلال الدين دسوقى) وعاشها وكأنما كان القدر يرهص بما قام به بعد من بطولات ، فأى ضغط كانت ترزح تحته أعصاب لداته فى هذا الزمان .

ولقد دخل (جلال) المدرسة الابتدائية بالزيتون ومنذ اليوم الأول فى دراسته أخذت تظهر خطوط شخصيته ، فقد اشتهر بالصدق والصراحة والشجاعة والذكاء النفاذ والتفوق العلمى والسلوكى الذى جعله لم يتعد المرتبة السادسة فى امتحاناته كلها ، هذا إلى رجولة مبكرة تأنف من سفساف الأمور، وكرامة تتجلى فى أروع

صورها ، وقلب طيب مفعم بالوطنية الواعية التى تنشد المعرفة فيكون التاريخ موضوعه المفضل وقصص البطولة شغله وقت فراغه .

وفى هذه الفترة وسن التلميذ لا تتجاوز التاسعة .

وفى عام ١٩٣٦ فى ظل معاهدة الشرف المزعوم يثور على المستعمر وطغيانه ويندد به فى كل مجال ، ثم يحبب إليه شقيقه الأكبر (محافظ القاهرة السابق) صلاح الدين الذى كان رائداً لجلال وقدوة له ؛ يحبب إليه الألعاب الرياضية حتى يعشقها، ويشترك معه فى مباريات كثيرة فتراوده البطولة الرياضية التى وثق أنها ستجعل منه شخصية متكاملة تستطيع أن تنهض بأعبائها الوطنية .

وقد عرف فيه زملاؤه هذه الخلال السوامى ؛ فأكبروه ووضعوه فى المقدمة وأحبه أساتذته وقدروه، وقد لازمته هذه الصفات المثالية فى حياته بعد ذلك بل نمت فى دراسته الثانوية ؛ حيث ألحق بمدرسة مصر الجديدة الثانوية عام ١٩٤٠ وعمره يدخل به إلى المرحلة المتوسطة فى شبابه .

ويبدأ (جلال) هذه المرحلة بالتنافس العلمى المفيد تحيط به روح رياضية عالية تستمد نبعها من أخلاقه الرفيعة ، وصلابته فى رأيه وعزيمته القوية وطموحه الغلاب .

وفى هذه المرحلة برز بجانب تفوقه العلمى تفوقه الاجتماعى حيث اشتهر بوعى اجتماعى ، وإحساس مرهف جعلاه يحس آلام رفقائه فيشاركهم متاعبهم ويقف إلى جانبهم ؛ وكذلك اتضح تفوقه الرياضى حيث كان رئيساً للفريق الرياضى بالمدرسة ، وكان يمارس عدة هوايات رياضية ويشترك فى جميع فرقها مع اهتمام كبير بلعبة السلاح ، فاشتهر بين زملائه كبطل سيكون له مستقبل رياضى عريق .

وكانت تقديراته العلمية فى سنى هذه الدراسة ممتازة كفاء ذكائه وعكوفه

على تحصيل العلم ومواظبته وحسن سلوكه، وشغفه بقراءة كتب التاريخ والكتب الرياضية التى ساعدته فى (شعبة الرياضة) التى دخلها فى السنة الخامسة .

وعندما حصل على (شهادة التوجيهية) قسم الرياضة كان طريقه الطبيعى يتجه به إلى كلية الهندسة، كما كانت رغبة شقيقه الأكبر (صلاح) الذى كان جلال يتخذ منه (صديقاً كبيراً) إلا أن سفر صلاح إلى الخارج للاشتراك فى بطولة العالم للسلاح ترك الفرصة لاختيار (جلال) كلية البوليس استجابة لرغبة شقيقه الثالث الذى يقيم فى الريف فى بلدة (شبرامالكان) مركز المحلة الكبرى وقضى (جلال) عاماً بالكلية كان ترتيبه الأول بين زملائه .

ولكنه مالبث أن جلس إلى شقيقه الأكبر (صلاح) ليسر إليه بأن كلية البوليس لا تساير استعداده، وكان صلاح يتعامل مع شقيقه على أساس حرية الإقناع .

وفى هذه الآونة أعلن السلاح البحرى عن أول دفعة للكلية البحرية، وجاء الشقيق الرابع وهو ضابط فى سلاح الطيران يقترح على الأخ الأكبر (صلاح) أن يتقدم (جلال) إلى الكلية البحرية؛ فرحب جلال بالفكرة فى شغف بالغ فهى الكلية التى تحمل شعاره الذى آمن به طوال حياته وعمل فى سبيله ذلك الشعار هو (العلم والعزيمة والعمل) .

وتقدم (جلال) إلى الكلية البحرية فى دفعة أكتوبر عام ١٩٤٦ وألحق بها فى الخامس عشر من أكتوبر؛ فكان الابن الأول للكلية البحرية والطالب الذى يحمل الرقم العسكرى (١) وقد منح مجانية التفوق آنئذ، لأن ترتيبه الأول ورقى إلى رتبة (وكيل ريس) فى مايو ١٩٤٧ ورقى إلى (ريس) فى الثامن عشر من فبراير ١٩٤٨ وأخذت تقاريره الدراسية فى سنى الكلية البحرية تشيد بكفايته العسكرية وتفوقه العلمى والخلقى واهتمامه بدروسه حتى رقى إلى رتبة (ريس ممتاز) فى العشرين من مايو ١٩٤٨ لطلبة الدفعة الأولى بالكلية . والحق أنه كان مثالياً شديداً فى الحق يميل إلى

الجد ويعزف عن العبث ولا يشترك فيه ؛لم ينحرف البتة عن مبادئه ومثاليته يملك من مقومات القيادة الجدية والإخلاص المتناهى والصراحة والطموح والاستقامة؛ما جعله أهلا بأن يقود بمفرده الكلية البحرية حين اشترك صف الضباط بمناورات خارجية .

وهنا ظهرت مواهبه الغريزية فى القيادة مما ساعده على النهوض بعمله وتحمل مسئوليته نحو الكلية بأمانة وإخلاص ،ومما دعا الكلية إلى الاستمرار فى تعيينه رغم أن ترتيبه فى الفترات كان بين الرابع والسادس-وهكذا أضحى موضع تقدير قادته ومدرسيه ومحبة زملائه ،وكانت ثقتهم فيه لا حد لها وكان مثالا ممتازاً لجميع طلبة الكلية .

وتخرج(جلال الدين)فى السادس عشر من ديسمبر ١٩٤٨ ضابطاًفى السلاح البحرى وألحق بمدرسة الإشارة البحرية بالاسكندرية ليظل بها حتى الثانى من أبريل ١٩٤٩ ثم نقل إلى منطقة حصن الإسكندرية وظل فيها حتى السابع عشر من يوليو ١٩٤٩عندما نقل إلى الغردقة على البحر الأحمر ليعمل فى سفن التموين حتى السابع والعشرين من ديسمبر ١٩٤٩ - ثم يندب للعمل فى مصلحة الموانى وللنائر حتى الخامس من أبريل ١٩٥٠ عندما يرقى إلى رتبة الملازم الأول ويرسل فى بعثة إلى انجلترا لدراسة العلوم والفنون البحرية حتى أغسطس ١٩٥١ ليعود ضابطاًعلى إحدى السفن الحربية فيقضى بها تلك الفترة حتى السادس والعشرين من يوليو ١٩٥٢ (وهو يوم طرد فاروق من أرض الوطن) ويرقى جلال الدين إلى(رتبة اليوزباشى)ويعين أركان حرب مدرسة الطوربيد ، ويظل بها حتى السابع من أكتوبر ١٩٥٢ فيرقى (قائداً لمدرسة الطوربيد) ثم يعود (جلال) إلى انجلترا ليحصل على فرقة إزالة ألغام بحرية من الخامس عشر من نوفمبر ١٩٥٢ إلى الحادى والعشرين من ديسمبر ١٩٥٢ ويحصل على المرتبة الأولى ثم يعود إلى عمله فلم يكتف بهذا ؛ بل حصل بعد ذلك على فرقة الملاحة البحرية فى أغسطس ١٩٥٣ بامتياز ثم يلحق بفرقة الشئون الإدارية حتى الرابع عشر من يناير ١٩٥٤

وفى يناير ١٩٥٥ ينقل إلى مكتب رئيس أركان حرب القوات البحرية ويعهد إليه بمهمات رسمية خاصة بالسلاح البحرى فيسافر إلى يوغوسلافيا فى إبريل ١٩٥٥ ثم إلى انجلترا ؛ ويسافر مرة أخرى إلى يوغوسلافيا فى سبتمبر ١٩٥٥ ويكافأ (جلال) فى اكتوبر ١٩٥٥ بترقيته إلى (رتبة الصاغ) وفى يناير سنة ١٩٥٦ يعين (قائداً لمجموعات لنشات الطوربيد) فيسكب فى نفوس زملائه ومعاونيه من علمه وروحه ما يجعلهم أسطورة فى البطولة والتضحية والإيمان والعزيمة، وفى الثامن والعشرين من أكتوبر ١٩٥٦ يرقى جلال إلى رتبة (البكباشى بصفة خاصة) لما امتاز به من كفاية وتضحية وأعمال مجيدة للقوات البحرية ولم تمض أيام قليلة حتى تبلغ التضحية أوجها فى الرابع من نوفمبر ١٩٥٦ عندما يضحى (جلال) بنفسه فى سبيل قومه ؛ يبنى لهم من جهاده بناء شامخاً إلى العلاء وصرحا ساميا إلى الاستقلال والنور .

ولقد كانت التقارير التى كتبت عن الشهيد البطل فى عمله حين كان ضابطا أو رحلاته الدراسية أثناء عمله (أوسمة فخار) تزين صدره وقد كانت خير استمرار (لجلال دسوقى) الطالب حيث مضى فى طريقه بقوة وطموح ، فدرس وتخصص وعمل وأنتج ، وكان ثورة فى كل مكان ثورة على الكسل وثورة على الجهل ، ثورة على الجمود ، وقد نجح فى أكثر من ميدان وكان أعظم نجاح له حينما ثار على أساطيل المعتدين الآثمين فانتصر عليهم ؛ ثم مات ميتة الأبطال .

وكانت صفاته التى أجمعت عليها كل هذه التقارير تتمثل فى أنه كان شخصية قوية ذا مظهر لائق ينفذ الأوامر بدقة، كما كان حازماً فى إصدار أوامره بكفاية ملحوظة ، وكان قادراً على القيادة بكفاءة تامة ومتعاوناً تعاوناً وثيقاً مع رؤسائه ومرءوسيه لصالح العمل ؛ وسمعته مشرفة وأخلاقه سامية ونشاطه محمود يبلغ الغاية ، كما كان دقيقاً وأميناً جداً فى عمله يعمل بدون رقابة وبحماسة لصالح

سلاحه والتفانى فى الاعتزاز به ، وهو ضابط منتج يمكن الاعتماد عليه فى القيادة والإدارة له مقومات تقفز به إلى مثالية نادرة يحدوها ضمير حى يقظ، ووعى ثقافى وطنى ويرجى له مستقبل زاهر .

جوائز تفوقه

ذكرنا أنه منح (مجانية التفوق) فى الدفعة الأولى للكلية البحرية ، ثم قررت الكلية منحه (كتاب المعارف البحرية) كجائزة للتفوق العلمى ، كما حصل على (السيف البحرى) دليلا على تفوقه وامتيازه وقد ، سجل اسمه على لوحة أوائل الخريجين فى الكلية البحرية (أحسن طالب فى القيادة) كما كان اسمه فى طليعة أصحاب البطولة فى (سجل البطولة والمجد والشرف) بالكلية ولقد حصل جلال لتفوقه الرياضى على (ميداليتين) إحداهما لدورة البحر المتوسط فى الاسكندرية عام ١٩٥١ ، والثانية لبطولة السلاح لمدينة الاسكندرية أيضاً عام ١٩٥٢ ، وقد كوفىء جلال حين جنب البلاد ضرر اللغم البحرى فى خليج أبى قير (بنوط الجدارة الذهبى) ، وكان أرفع وسام ناله البطل جلال دسوق غير أوسمة الفخار فى تقارير المسئولين عنه ـ هو استشهاده فى سبيل عقيدته المقدسة ووطنه الحبيب ، وهو يهتف من أعماقه :

إن فى مصر أمة لاتطيق الضيم تأبى لها العلى أن تطيقا
أنذرونا بالموت ما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقا

سماته وأخلاقه

لقد كانت تنبعث ينابيع الرجولة من سكناته وحركاته وقسمات وجهه ، وكان سمهرى القوام عظيم الهامة فيه سمات القواد ليس مفرطا فلم يتجاوز طوله (١٨٣ سم) ضامر الجسم فى غير نحول يبلغ وزنه (٧٣ ك ج) أوفى إلى البياض منه إلى السمرة، نافذ النظرات فى عينيه شعاع عامر بالعزم والتصميم، يميل وجهه إلى أن يستطيل من جبهة متبدية للناظر، يعلو رأسه شعر رجل فاحم السواد وفم دقيق

ابتسامته خصبة مؤمنة تضيء ، عيناه من ضياء روحه فتغمر وجوه أصدقائه ونفوسهم ولكنه فى عمله صارم حاسم ، وكان يتبدى فى سمات الأناقة وحسن الهندام مع أبرز آيات الرجولة (من رآه بداهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه) يحس الرائى أنه من كبار الرياضيين فإذا مشى بدا مرفوع الرأس والصدر عالى الهامة نفاذ البصيرة،وهى مظاهر ثقته بنفسه،وكان لايجرى وراء الثناء يبدى رأيه فى أسلوب يسير مقل مقنع يجمع بين الصراحة والمودة وكان يملك لسانه وسمعه وبصره ، كل ذلك فى مزاج من الترفع والتواضع يملكه التعصب لكل ماهو مصرى تنطوى أضالعه على مقت المستعمر .

ولقد كان الله معه دائماً لأنه كان دائماً مع الله يذكره حين تتحكم النزعات أو يضرى الصبا ـ فكان طهره الذى لم يعرف الخمر ولم يقترف المنكر لا يدخن إلا نادراً ولا يشرب القهوة والشاى إلا بعض الأحيان،ولا يرتاد السينما إلا قليلا لم يغره شبابه أو مستقبله أن ينحرف البتة فعاش فى صحة وعافية ،ولم يصب بأى مرض طوال حياته ـ ولعل فيما أسلفناه من صفاته وأخلاقه نثارا فى مراحل دراسته وعمله ما يكمل صورته ويوضح مسلكه الرفيع وتمسكه بالأخلاق العالية والمثل العليا حتى تحدث عنه السيد مدير الكلية البحرية فقال : (إن الكلية البحرية تفخر دائماً بابنها الأول وبطلها الشهيد جلال دسوقى واتخذت منه رمزاً لأبنائها يحتذونه ويهتدون بنوره) .

ثقافته واثره فى عمله :

لقد كان شعار البطل جلال هو شعار كلية البحرية (العلم والعزيمة والعمل) ولقد آمن به وعمل على تحقيقه ، فأخذ على نفسه منذ نشأته أن يتزود بأزواد منوعة من المعرفة. فكانت مختلف الثقافات هى مصادر غذائه العظمى،وكان اهتمامه بحجرة مكتبه يفوق كل وصف لأنه يهوى القراءة والاطلاع ويحرص على اقتناء المؤلفات سواء منها ما كان حديث الصدور والتأليف أو قديمة .

كما وجد فى مكتبته مايشير إلى اهتمامه بقصاصات الصحف التى يرى جدواها له ؛ فوجدت قصاصات منذ إعلان تأميم شركة قناة السويس عن مؤامرات الاستعمار وتحركات جيوشه واستعداد المواطنين وكتائب الحرس الوطنى وكتائب الفدائيين والمقاومة الشعبية والقومية العربية . ووصف الاستحكامات الشعبية الضخمة فى (السويس والاسماعيلية وبور سعيد)، وبمكتبته عدة كتب عن التاريخ الإسلامى والمصرى والمؤلفات التى كتبت عن الثورات التحريرية فى العالم ، ومؤلفات عديدة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الشرق الأوسط والوطن العربى .

وكذلك العدد الضخم من الكتب التى تبحث فى العلوم والفنون البحرية حتى القصص التى تدور أحداثها حول بطولات بحرية .

وكذلك وجدت بين أوراقه بحوث وتعليقات على بعض قوانين الألعاب الرياضية ، وتعليقات أدبية رائعة وشرح لبعض القصائد التى تتغنى بالبطولات الوطنية .

ولقد أدرك مدى أهمية العلم فى التسلح الحديث ؛ فسعى وكافح لإعلاء كلمة العلم . وأعد عدة بحوث عن فروع من العلوم البحرية وبخاصة ما يتعلق بالألغام والطوربيدات ومذكرات متناثرة كتبها عن قراءته : منها ملخصات لكتب البحرية وعلوم البحار، ومنها تعليقات على الحركات الوطنية، ومنها ما يدور حول دراسات فى الكواكب والنجوم لما لعلم الفلك من اتصال وثيق بعلوم البحرية وهو أول من نادى فى عزيمة بضرورة رفع المستوى العلمى للضباط البحريين وأول من سعى لإنشاء لجنة البحوث العلمية والفنية للبحرية .

وحين عين (قائداً لمدرسة الطوربيد) نقل إلى مكتبة المدرسة أحدث المؤلفات فى علومها؛ قام هو بنفسه بترجمة كل ماوصل إلى يده منها، وأعد محاضراته كرائد

لعلوم تدرس لأول مرة فأعدها بطريقة فـذة ، وقد عثر فى أوراقه وكتبه على كراسات عدة تذخر بأبحاثه وترجماته ودراساته .

وهكذا كان أستاذاً للبحرية ، وصاحب مبادىء وشعارات حققها بعزمه ومصابرته ومثابراته .

آراؤه الاشتراكية :

وكما كانت له آراء فى البحرية جعلته صاحب مبادىء فيها وفى التربية الرياضية جعلته فى قمة أبطالها . كانت له آراء فى المجتمع ضمنها بحثه الذى تحدث فيه عن نظريات تقدم المجتمع جعلته من السابقين فى الدعوة للاشتراكية قال فيه : (إن هناك خمس نظريات لتقدم المجتمع منها النظرية النفسية التى تقول إن أساس تقدم المجتمع هو ظهور أفراد موهوبين كالأنبياء والرسل والزعماء والقادة والمخترعين الذين يتأثر بهم أفراد المجتمع ويترسمون خطاهم؛ ومنها النظرية الطبيعية والجنسية والاقتصادية والاجتماعية) ثم يعود فيحدثنا عن العوامل التى تؤثر فى رقى المجتمع فإذا به يتحدث عن النظام الاشتراكى كما دعا إليه الفلاسفة من عهد أفلاطون . وكما حضت عليه الأديان السماوية ودعت إليه .

فيقول السيد المسيح عليه السلام فى سخرية ومرارة (من عنده يعطى ويزاد ومن ليس معه يؤخذ منه) . ويقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (الناس سواسية كأسنان المشط) ويعلم أن الاشتراكية هى المساواة والتضامن والمشاركة العاطفية والفكرية والمادية بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ فيدعو إلى الاشتراكية التى تؤمن بالله وبالإنسان والتى يصبح فيها المجتمع يتفوق فيه الفرد بعقله وعمله لا بجاهه وميراثه يتفوق بملكاته لا بأملاكه فيقول :

(ويقاس تقدم المجتمع بمقدار ما يتمتع به أفراده من الخير والرفاهية ومدى تماسك أفراده وتعاونهم وتآلف وحداته؛ ويمكن تلخيص ذلك الرقى فى المبادىء الآتية :

أولا — تكافؤ الفرص وتساوى كافة الطبقات فى الحقوق والواجبات . يجب أن تتمتع جميع طبقات الشعب بالفرص ولا تتمتع بها طائفة بذاتها فيجب لكل فرد التمتع بالتعليم والتوظف .

ثانياً — استغلال الثروة فى خدمة المجتمع فلا تستغل الثروة فئة خاصة بل يستفيد منها أكبر عدد ممكن ، ويشير ذلك بتأميم المرافق العامة وإحلال الشركات المساهمة التى توزع أرباحها على حملة الأسهم محل الشركات الخاصة .

ثالثاً — خدمة الأفراد صحياً واجتماعياً وتكوين الجمعيات والمستشفيات والمنشآت الاجتماعية المختلفة .

رابعاً — تعاون أفراد المجتمع . . فرقى المجتمع يقاس بمدى المشاركة الوجدانية بين أفراده،وتعاونهم فى سبيل الصالح العام لذلك التعاون الذى يمثل أرقى درجات المسئولية) .

كلماته .

لقد قلنا إن البطل الشهيد كان مشغولا بالتعليقات الأدبية الرائعة ، ويشرح بعض القصائد التى تتغنى بالبطولات والوطنية ؛ وها هوذا يستمع إلى الشعار الثورى الذى هتف به السيد الرئيس المفدى (جمال عبد الناصر)فى خطابه الخطير فى الجامع الأزهر يوم الثانى من نوفمبر ١٩٥٦ (ليكن شعارنا أننا سنقاتل ولن نستسلم . سنقاتل . سنقاتل) فيهتز وجدان البطل وتثور روحه مزمجرة مغيظة لشريعة البطش والقرصنة التى باتت تهدد الوطن والأبناء والأحفاد فيقول فى شعر منثور هو دفقة الفؤاد ونبضة الثأر :

سأقاتل . سأقاتل مرة ياوطنى ـ مرة أما عرفت أن تاريخى تاريخ عرابى ـ إن حق وقناتى ـ والذى قدمت من ذوب حياتى ـ مرة لما تنفست وثرت ـ ثر الطغيان فى أرضى سعاره ـ وإذا أجنحته السوداء فى جو بلادى ـ هى روحى

الذكية ـ وأمانى هدية ـ وتراءت كلماتى ـ أسطراً سوداء فى صفحة حبر ـ وتسمعت وراء الظلم لصديق صوته أعرفه فهو أصداء (لموزارت) و (أركل) ـ ترك القيثار كى يحمى صغاره ـ ودياره ـ وبلاداً مجزية ـ علمته التضحية ـ وتحسست سبيلى للقلم ـ كان قد أغرق فى بحر الظلم ـ قلمى لم تعد تبكى حنيناً ـ لا ولن تنثر فى الليل الشجونا ـ والأنينا ـ ولن تمزج بالسهد اللحونا ـ ولن تسكت فى جوف الظلام ـ فكلانا يعشق النور ـ فهيا لنقاتل ـ سأقاتل وأنا أعلم أنى سأقاتل لأكون جديراً بأرض التضحية ـ سأترك من ورائى أغنية ـ سيعيش وطنى ـ سيعيش وطنى للأبد) .

وكان للشهيد قدرة عجيبة على مواصلة العمل ؛ قد تستمر ثمانى عشرة ساعة فى اليوم فإذا طلب إليه زملاؤه أن يروح قليلا عن نفسه أجابهم البطل (إن بلادنا تحتاج منا أن نعمل . . أن نعمل كثيراً . . لقد اعطتنا كل شىء . . لقد أصبحنا أصحابها وإذا عملنا لهـا فإننا نعمل من أجل مستقبلنا ، ومستقبل أولادنا وأحفادنا) .

وكان إيمان البطل (جلال) مطلقاً بوطنه وبعزته وكرامته ومجده ؛ وقد كانت كلمته دائماً (إننى فداء لبلادى الحرة المستقلة ولن أعيش على حساب حريتها واستقلالها وعزتها وكرامتها . . أنا لا أمسك حياة فى بذلها مصلحة لبلادى . . . أى مصلحة) .

وطنيته وبطولته

إنا حين نعرض لحياة البطل الشهيد (جلال) نرى أنه مانسى الوطن ساعة وإنما أعطاه كل ساعة من دقائق عمره ؛ والوطنية عنده معنى بعيد يضم التاريخ وصفحاته وأبطاله ، ويضم العصر وكفاحه ضد كل مستعمر أثيم ، فكان شهيدنا حقاً سيفا من سيوف الجهاد، وطالما سمعه زملاؤه يردد :

لو مثلوا لى موطنى وثنا لهمت أعبد ذلك الوثنا

وهو مع وطنه منذ نعومة أظفاره يحبه ويقدسه ويحيي مواكبه ، ويستحث جيشه ويتمنى أن يغدو فى أجناده ليعيد مفاخر الآباء وأمجادهم؛ وكيف لا يكون كذلك وقد كان أول ما طرق مسامعه تلك القصص التى تصور مرارة الواقع الذى كانت تعيشه بلاده ، وتكتوى بناره فتعمق فى وجدانه وعياً وطنياً هو سلاحه فى كفاحه . . كان يعده والده الكريم لهذه البطولة فكان يروى له كما لقن شقيقه الأكبر (صلاح الدين) هذه القصص الوطنية المثيرة ثم رعى صلاح هذا النبت فى شقيقه جلال وصبغ حياته ، بلونها الثائر ضد الاستعمار والطغيان وقد ظهرت وطنيته مع بوادر حياته حين كان ينقم على الإنجليز فى عام معاهدة الشرف، وعرفت بطولته يوم عشق الرياضه لأنها ستخلق منه مواطناً سليم البدن والعقل والروح فتتكامل عنده مقومات البطولة ، ولمسنا وطنيته يوم أن رأيناه يقف فى طليعة المتفوقين علمياً وخلقياً ورياضياً واجتماعياً طوال سنى دراسته فكان من أصحاب الرسالات والمثل العليا؛ وعرفنا وطنيته يوم أن كان أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الثانوية يسميه (مصطفى كامل) لشدة إعجابه به وبعلامات الوطنية المبكرة التى كانت تحملها أحاديثه وكتاباته، ورأينا وطنيته الصادقة يوم أن توجه فى اندفاع غريب إلى الكلية البحرية ، لتحقيق شعارها الذى آمن به وعمل له وهو (العلم والعزيمة والعمل) ويوم نال ماناله من جوائز تفوقه وسجل اسمه فى لوحات القادة الأبطال، وتبدت وطنيته حين درس وتخصص وعمل وأنتج وتفتحت عيناه على جذور الحقائق حتى صار طاقة مندفعة دائماً إلى مثل عليا واضحة المعالم ،وسمعناه وطنياً غيورا يوم جلس وهو ضابط صغير يقص على شقيقه الأكبر (صلاح) قبل الثورة مفاسد السلاح البحرى التى تعرف مواطنها وضاقت بها نفسه ولا يرى سبيلا لتطهير السلاح منها؛ فيمهله الشقيق الأكبر حتى يصبح فى رتبة رئيسية تسمح له بتولى الاصلاح وعندئذ يحقق أهدافه .

وعرفنا وطنيته يوم كان يملكه التعصب لكل ما هو مصرى تنطوى أضالعه على مقت الإنجليز وكأنما هو وحده المجنى عليه لا بنو الوطن جميعاً . ولمحنا وطنيته حين كان ينظر مخلصاً إلى الأمور نظرة شاب وطنى طامح إلى المثل العليا، ويشكو إلى زملائه بالكلية مايرى من أمور البلاد وأنها تسير بمشيئة الغرب وهواه لا بمشيئة الشعب وأمانيه، وأنه لا يرى فى هذه الدولة ظلا لما كان يحلم به من عزة وكرامة واستقلال ونخوة؛ ولمحنا وطنيته يوم كان يتفانى فى عمله بالسلاح البحرى ويمجد البحرية ويعرف خطرها الكبير فى معركة الحرية والشرف فواصل الليل بالنهار للنهوض بها حتى فخر رؤساؤه بوطنيته وبطولته ، وعرفنا بطولته يوم أن زودت القوات البحرية بغواصات جديدة فاستهواه السلاح الجديد وأراد أن يكون قائداً لواحدة منها حتى يكون ملما بكل الأسلحة البحرية استعداداً للمعركة ؛ لولا أن نصحه شقيقه الأكبر (صلاح) بالتؤدة حتى تدرب طويلا على كل أنواع الأسلحة، وقد تجلت بطولته فى فلسطين وجلال الملازم الثانى الحديث التخرج يعلو ظهر مركب من سلاحنا البحرى فى مياه البحر المتوسط مع زملائه الخريجين فى عملية تدريبية ؛ وترى الطائرات المغيرة مركبه وتتجه إليها فتبدأ أول معركة حقيقية بينه وبين الصهيونية فيقف (جلال) وجهاً لوجه أمام إسرائيل التى يمقتها ويتمنى إبادتها فينتصر ويعود وكل آماله أن يرى لبلاده أسطولا ضخماً قوياً ، وشباباً فى البحرية مؤمناً واعياً ثم تتلاحق بطولاته .

وفى ديسمبر ١٩٥٢ يصل إلى السلاح البحرى أن لغماً بحرياً فى خليج أبى قير قد ينفجر ويسبب خسارة ضخمة، وتقدم البطل فى اندفاع وإيمان وينجح فى تجنيب البلاد ويلات هذا اللغم وهكذا يقوم بهذه البطولة حيال لغم آخر فى منطقة السويس — وتشرق شمس الحرية مع ثورتنا الكبرى فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ فيجد البطل (جلال) فيها تحقيقاً لأمانيه وخلاصا من الفساد الذى كان يشكوه فتعلق بها جلال لأنها أمنيته التى كان يحلم بها، وأحس أنه سيؤدى رسالته الوطنية

فى ظل المثل العليا التى قامت الثورة من أجلها، وهدأت ثورته مع انتصار ثورتنا المفداة وكرس جهده وحياته وسلاحه الذى أحبه وأحس أنه يعمل من أجل مستقبل أبنائه وأحفاده ـ من أجل مستقبل كل أفراد الشعب والوطن العربى الكبير . ويعلن القائد العام للقوات المسلحة المشير (عبد الحكيم عامر) فى خطابه الذى ألقاه فى الثانى والعشرين من نوفمبر عام ١٩٥٥ (تعلمون جميعاً أن المسئوليات الملقاة على عاتقنا كضباط فى القوات المسلحة بعد هذه الثورة مسئوليات جسيمة) ثم يوضح واجبات الضابط الأساسى ويختمها بقوله :

(وإننى أعلم أنكم قادرون على أن تبذلوا هذا المجهود وهذا العناء وهذه التضحية) فيعى (جلال) كل كلمة ويتفاعل معها ويعمل بوحيها ، ويسير تحت لوائها فى طريق النصر وراء قائده . ثم يوافينا يوم العرض العسكرى بميدان الجمهورية فيعلن المشير عبد الحكيم عامر للشعب (كما أعيد تنظيم الأسطول البحرى بما يكفل قيامه بالتبعات الملقاة على عاتقه للدفاع عن مياهنا الإقليمية وحراسة قواعدنا الأمامية) ثم تتوالى الأحداث والانتصارات التى عرضتها ذكرياتنا فى المقدمة، إلى أن يكون خطاب رئيسنا الناصر وقائدنا الملهم فى السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٦ فى عيد الثورة الخامس ليعلن على العالم قراره الخالد فى (تأميم قناة السويس) وخطابه الحاسم فى الثانى عشر من أغسطس عام ١٩٥٦ الذى أعلن فى خاتمته (وسننتصر على القوة الغاشمة سننتصر على قوة الاستغلال وقوة السيطرة وقوة التحكم؛ وسنتجه إلى الأمام بإيماننا وحقنا فى الحياة وإيماننا بأنفسنا وإيماننا بوجودنا وإيماننا ببلادنا وإيماننا بأرضنا وإيماننا بأن قناة السويس جزء لا يتجزأ من أرضنا) ويكون لهذا الخطاب أثره العميق فى نفوس الشباب العربى حيث عرفوا واجبهم ، ودورهم الخطير فى مستقبل بلادهم واستقلالها وكرامتها :

ما زلت أصغى يا (جمال) وأمتى عصب وروح
وموا كب التاريخ تهدر والرمال السمر سوح

سلمت يمينك يا (جمـال) ومات فى الزحف الفحيح
ويهشم الناب الوقاح ويثـــأر الوطن الذبيح
قهقه لناتقين فى الميـدان دمدمت الجـــروح
وأعر جناحك للكسيح يدب للثـأر الكسيح
كفرت بأمـتى الفتـوح غـــدا تتيه بنا الفتوح

وهناك فى الإسكندرية استمع (جلال) مع زملائه ضباط السلاح البحرى إلى كلمة رائدنا الظافر (جمال عبد الناصر) فبدأت هذه تتفاعل فى أعماقه وتزيده عزماً وقوة ومضاء ؛ فيمضى على نواجذه قائلا (إلى متى سيظل الاستعمار) ثم تتتابع الأحداث حتى نستمع إلى الخطاب الخطير الذى ألقـاه السيد الرئيس فى الجامع الأزهر فى الثانى من نوفمبر ١٩٥٦ والذى أحال الشعب إلى طاقات ضخمة فانطلق بكل طاقاته وطوائفه . بقـواته البحرية فى البحار ، ونسوره فى السماء وجيشه فى كل ميدان، وكانوا فى المعركة أقوى فى الصراع وأشد فى البطولة؛ لأنهم نار الحق والكرامة تحرق كل نار وتسكت كل باطل . انطلق الشعب يأخذ مكانه فى المعركة حيث رأى حماه يباح ودوره تجتاح، وبين الردى الجبار والعواصف الهوج أخذ ينادى كل فرد من أفراده بأن يورى شعلة القتال وأن يقيم من ساح المعركة سوقا للطعان ، وأن يمطر المستعمر بصواعق تهدم البغى وتحطم العبودية وتدوى فى أرجاء (بورسعيد الخالدة) :

وإذا الظـلام عتا تبلج فجره ظلم الحـوادث مطلع الأنوار
ما انهار قصر فى حمـاك ممرد إلا ليرفع فيك قصر فخـار
ما دمروك هم ولـكن دمروا ما كان فيك لهم من استعمار
حملوا عليك مواثبين وما لهم ثأر وثرت وأنت ربة ثار
ما يقتمون عليـك إلا أنهم شهدوك غـير مقودة لصغار

استشهاد البطل

وبدأ أبطال السلاح البحرى عملهم ، ليحيلوا كلمات (جمال عبد الناصر) قائدهم الأعلى إلى أعمال عظيمة إلى المجد نفسه والشرف نفسه. وقد جاءت الدول الاستعمارية بأساطيلها إلى البحر المتوسط تجاه الأراضى المصرية ، وخرجت قطع الأسطول البحرى المصرى إلى المياه الإقليمية المصرية ، خرجت لا تحمل قذائف بقدر ما تحمل أبطالا أشاوس ، ولم يكن فى حسبان العدو أننا جميعا قد وهبنا أرواحنا قربانا لشرف بلادنا وحريتها ومجدها .

وجاء يوم السبت الثالث من نوفمبر ١٩٥٦ وفى مساء هذا اليوم وغارات المستعمر الوحشية قوة دافعة لكل مصرى فى كل ميدان ـ كانت هناك مجموعة من زوارق الطوربيد مكونة من ثلاثة زوارق تستعد للخروج إلى البحر عندما شاهد ضباطها قائدهم البطل (جلال دسوقى) يتجه إليهم ؛ وفجأة قفز جلال إلى ظهر الزورق ليشاركهم فى العملية التى سيخرجون من أجلها الآن ، وأخذوا يستعدون فجلال هو الذى سيقود المجموعة ؛ ومرت ساعات الليل والأبطال يجوبون مياهنا الإقليمية بزوارقهم ؛ وعندما بدأت تزحف أضواء يوم الأحد الرابع من نوفمبر ١٩٥٦ كانت زوارق الأبطال فى المياه المواجهة (لمنطقة البرلس) وكان من الضرورى أن تعود إلى الشاطىء ؛ فإن هذه الزوارق لا تعمل إلا فى ظلام الليل حتى لا تكون هدفا للقوات الجوية المعادية ، وعندما كان (جلال) يتعمق بزورقه فى مياه البحر المتوسط سجلت أجهزة زورقه إشارات تدل على أن قطعا بحرية تقترب وأن هناك خطرا يهدد وطنه ؛ وبدا النور ينداح على الأفق وبدأت تظهر قطع من الأسطول الانجليزى والفرنسى ؛ فأضحى جلال أشبه بالبركان الثائر ويود لو قضى على الاستعمار كله لا أساطيله فحسب ، ورأى جلال مركبا انجليزية كبيرة فجال جولته الأولى ، وأصيب المركب الإنجليزية وبدأت تميل إلى القاع عندما تقدم لها طراد فرنسى اسمه (جورج ليج) وفى كلمات سريعة حاسمة قال (جلال) لزملائه

(تقدم وبأقصى سرعة) وانطلق هدير الزوارق حيث قاد (جـلال) تلاميذه الأبطال الفدائيين ولمح الطراد الفرنسى هذا الهجوم وفتح كل نيرانه .

ولـكن الزوارق مضت كالسهم الملتهب نحو هدفها الـكبير ، واخترقت هذه النيران لا تخشى القنابل التى تتفجر حولها والرصاص الذى يئز فوقها .

وفجأة اختفى الهدف الـكبير ؛ فلقد أطلق (جورج ليج) حوله دخاناً كثيفاً فى الوقت الذى أصدر (جلال) أمره بإطلاق الطوربيد الأول والثانى والثالث ، ولـكن الطراد لم يصمت فقد استمر يطلق نيرانه فى عنف وإصرار رغم إصاباته العديدة .

وقد انعقدت حوله سحب الدخان القاتم ، وكان لابد من اختراق هـذا الدخان ؛ وانطلق (جـلال دسوقى) فى قوة آمرة يقول (إلى الأمام وبأقصى سرعة) .

ضراغم المـاء ثبـوا وثبـة ... آن لهـذا الغيـل أن يمنعـا
دعاكم المجـد فكنتم إلى ... دعائه من صـوته أسرعـا
وسرتم للمـوت فى جحفـل ... ما ضم رعـديداً ولا إمعـا
سـلوا بحار الأرض عن مجـدكم ... إن بهـا سراً لـكم مودعا
كانت ولا زالت لـكم ساحة ... تبنون فيها الشرف الأرفعـا
قد طاف (ناصر) حول أسطولكم ... مستنفراً غضبـان مستفزعا
يغضبه يا خـير أشبـاله ... أن يبلـغ القرن بـكم مطمعا

ومع زمجرة الزوارق المرة الثانية ، وهى تنطلق بأقصى سرعتها ؛ تبع الضباط قائدهم الذى قادهم من أول عتبة فى السلاح البحرى إلى حيث يقفون الآن إلى جواره فى ساحة المجد والشرف التى استنفرهم إليها زعيمهم المحبوب (جمال عبد الناصر) . ووسط هـذه اللحظات المحمومة والأمواج تزلزل بالشر وقذال

الأفق يشيب من وهج الوغى؛أطلق البطل (جلال) آخر طوربيد كان مع مجموعته فشطر (جورج ليج) شطرين وتركها تستنجد بالطائرات المعادية وفى الطريق خرجت اثنتا عشرة طائرة فى أربعة أسراب فرنسية وانجليزية نفاثات وقاذفات قنابل؛ وبدءوا معركة رهيبة مع أبطالنا،وانطلقت الصواريخ المجنونة من الطائرات المسعورة ودافع الأبطال عن زوارقهم إلى النهاية ولم يفارقوها حتى لحقوا بها فى عباب البحر . والسماء وحدها لا تكفى لنرفع رءوسنا إليها ، والبطولة وحدها لا تكفى لنطلقها عليهم وهنا فى قلب مصر ، ومع كل قطرة ماء تشربونها اذكروا أبطال البحر الذين أذلوا القراصنة ، اذكروا أشياء أكثر من البطولة ومن المجد ومن التاريخ، أكثر بكثير من كل هذا واذكروا مصر :

وطن عليه من الزمان وقار ... النور ملء شعابه والنار
تغفو أساطير البطولة فوقه ... ويهزها من مهدها التذكار
فتطل من أفق الجهاد قوافل ... (مصر) يشد ركابها (ونزار)
تستيقظ الدنيا على تزآرها ... وتنام تحت لوائها الأقدار

والد البطل :

ولما علم والد الشهيد الخالد (جلال الدين) بما حدث تلقى الخبر بثبات المؤمن القوى الإيمان ،الراضى بقضاء الله وقدره وقال (لقد نال ابنى جلال حسنى الاستشهاد فاستحق أرفع الأوسمة فى الدنيا وأرقى الدرجات عند الله فى الآخرة مقام الصديقين والشهداء) وهكذا كان يخفق وجدانه مع الشاعر :

لى على أزرق العباب لواء ... يتحدى وبقعة حمراء
لا تزحزح (جلال) قبرك ... فى الأعماق،للفجر فوقه لألاء
أنت ياقصفة البطولة ضاقت ... بمداها أرض وناءت سماء
وارتمت فى العباب فاحتضنتها ... حفنة من مياهنا زرقاء

ياشهيدالصباح ماعرفت أحلى وأندى من وهجه الأضواء
هات أمثولة الفداء ورقرق من سناها على الدنا ما تشاء

تمجيد البطل وتخليده :

وفى عهدنا المجيد الذى يكرم البطولات الحقة، ويرفع منارها فى جيلنا والأجيال القابلة ؛ كرم هذا الشهيد البطل فقررت الكلية البحرية إطلاق اسمه الخالد على إحدى قاعاتها للمحاضرات وعلى قاعة للمسرح والسينما أقيمت حديثاً بالكلية ، هذا إلى جانب حجرة أخرى باسمه تجمع قطعاً لأنواع مختلفة من الطوربيدات التى تخصص فيها البطل الشهيد، كما قرر نادى السلاح بالإسكندرية عمل درع باسم (جلال دسوقى) تقام عليه مباريات سنوية وظلت الصحف والمجلات فى مصر وسوريا ولبنان طوال الأسابيع التالية فى نوفمبر ١٩٥٦ بل وفى نوفمبر من كل عام ـ تروى ذكرى (معركة البرلس البحرية) وتمجد البطولة فى قصة الشهيد جلال دسوقى وتكرم فدائيته ووطنيته الواعية — ولم يخرج كتاب عن معركة الحرية فى بور سعيد إلا وضع فى طليعة البطولات — التى عطرت جنباتها وخلدت معاركها المقدسة — بطولة شهيدنا (جلال دسوقى) وقد أخرج المجلس الأعلى لرعاية الشباب فى (سلسلة شباب خالد) كتاباً قيما عن الشهيد البطل ضمن المراجع التى استندت إليها فى إخراج هذا الكتاب ، وفى اليوم الرابع من نوفمبر منذ عام ١٩٥٩ تحتفل القوات البحرية بذكرى معركة البرلس؛ اليوم الخالد فى تاريخ البحرية المصرية ؛ ويبدأ الاحتفال بخروج مدمرة كبرى من ميناء الإسكندرية فى الصباح يرافقها عدد ضخم من زوارق الطوربيد بقيادة قائد الأسطول ، ويقصد إلى مكان (معركة البرلس) وهناك يصطف الضباط والبحارة ويلقى القائد كلمة يحيى فيها ذكرى الأبطال .

(جلال دسوقى وجول جمال وإسماعيل عبدالرحمن فهمى وعلى صالح)ويشيد.

بذكر أمجاد قائدهم شهيدنا البطل وتمجيد أخلاده ؛ ثم يتقدم السيد القائد يحمل باقة كبيرة من الزهور ويقدمها إلى صدر الماء ، إلى المكان الذى طوى أجسادهم الطاهرة الزكية .

ونعود بالذكرى اليوم لنستنشق منها عبير المجد والخلود ؛ بذكرى بطلنا الشهيد وقد أسفر الصبح الذى أعاره نور عينيه حين انطفأت فيه جذوة الحياة نذكره ونحن نهتف ، لتطل علينا روحك أيها الشهيد الحبيب من عليائها لنعاهد الله على أننا سنظل مقتفين الخطى فى ظل رائد القومية العربية رئيسنا البطل (جمال عبد الناصر) نلتقى حول نفس الهدف وتحت نفس العلم وخلف نفس الزعيم فنحن نردد فى ذكراك المجيدة :

أيها الزورق المدل على الموج تدوى فى صدره الأنواء
أذنت ساعة الفداء فضجت أمنيات وصممت كبرياء
وتمطى على الشواطىء تاريخ وغارت فى جحرها رقطاء
أيها الواثب المدل على الأمواج ذكراك فرحة لا رثاء
عرس للصباح أنت ضحاه ومناه وزهره والغناء